رويدا اسايلك عمن لم تضع لهديه وسايلك اين سماحته وطلاقته اين كلفه بالحمد وعلاقته ما الذي نحى
عطفه عن الارتياح ام اي عافية من ذلك الامتياح او من يولف امنيه كما الف السحب ايدي الرياح فيا هبة
الكمال اطوي عرفك فما تنتشق ويا ربة المجد اقصري طرفك فما تعشق ويا معتز هفاته كيف جيتم وقد علمتم بوفاته
ويا زمر اماله صفرت ايديكم من اجماله ويا ايتام صحابه اين مواقع سحابه ويا ابناء ولايه من يتبوا مقام علايه
ويا منافسي شيمه من يجود بمثل ديمه ويا منازعي كرمه من يكيف المعتفين بمثل حرمه ويا حاسدي همه من
له كحفائظه وذممه سيدي لقد اضاءت مساعيك واشرقت واغصت الحاسدين طرا واشرقت وحسبهم ان
يتنبهوا الا اذا امت ولا ينطقوا الا حين مت وليهن ملاذك وصحبك اذا اجتك صنايعك وقد قضيت نحبك
وان تجم فنياوك فقد ابقى الحياة الخالد ثناوك ٥ ردت صنايعه عليه حياته ٥ فكانه من نشرها منشور
والناس مأتم عليه واحد ٥ في كل دار انة وزفير ٥ سيدي اما تجيب صرخة لهفان ام هدك البين لجواب
انك فان سيدي من لآمالك ببسط انامليك من للمرملات الغرايك بارشادك وارائك من لترباتك
بصلتك وحبايك من لاخيك بموانق اواخيك من لابنايك بلطف احبايك انفض شملهم وكان
جميعا ونادوك لو ناداوا منك سميعا هذا كبيرهم يدعوك فلا تجيبه وقد دفت الاضلاع وجيبه يبكي منذ
الرحلة بادمع سجام وقد الهبت الزفرات حشاه ولج الدمع بجفنه حتى اعشاه والاصاغر ما لهم بعدك
مفزع ورضيعهم تسكب له الانفس رحمة وتنزع لايدري ما جزع عليك فيجزع لشدما اذابتهم وقع الاوار
حين علموا منك كرم النجوى والجوار اف لدهر رماهم بالاجوار وتركهم انجما مسلوبة الانوار لاجرم وان يحزنوا
عليك ويكثروا فلقد تسلوا عنك ببعض ما ورثوا وما ورثتهم غير الحزن والبث واملي في الحياة كالهباء المبث
كما تسلي بمحاسنك ناسع طفقت عليك شوون عيني تدمع ايا ضريحه كيف وجدت ريحه لقد ادرج بك ذلك
المعز حتى ماينا نحو المسك الاذفر وكما ظفرت بوجوده نجد كل قبر بجوده ففيه سما نثرة وغمام ووفد
انضم عليه منك لمام ولو علمت بمن بين جنبيك راقد لعلوت حتى تلوح في ذراك الفراقد ويا ذاقنيه
كيف هلتم عليه الرغام اولم تنكروا على الشمس ان تغام هيهات لقد سحتم بالقبر عف الشمايل طيب الاخبار والاخاد
من لا نزاع في فضله ولا الحاد اي نفس انحلتم لها التراب مستودعا فاضحى عرنين المكارم مجدعا ٥
فتى مثل نصل السيف من حيث جيته ٥ لنايبة نابتك فهو مضارب ٥ فتى همه حمد على الناي راجح
وان بات عند ماله وهو عازب ٥ اما وان ازدحمت بهلكه الاوصاب وقدح الرزء وجل المصاب حتى
لا نالف التاسا فلقد سن الموت من حيث شا فلقد خلفنا بدهر ما فيه غير مصاب ولا يبالي من اقتصد به الصايب
فيا فقيد الندى ماكان اجدرك بالخلود واخلقك ويا جواد عزه ماكان اقصر طلقك نوى حينا استوى وتوارى
اذ ملا الافق انوارا وكسف حين بلغ الكمال فكان كالغصن عند ما اعتدل مال او كالشهاب عندما استقام حاد
وكذلك عمر كواكب الاسحار هذه البراعة التحفت بدرع الضنا والصحف تطوى على جهالة وتحني وعهدي به
ان اسطي راحته اليراع راع او دبج الاوراق راق او استدر طبعه السلسال سال واي روض اراده راده
ومتى اراغ الانشا احسن انشا لحق للفواد ان يستعر بوقدة وللمدامع ان تسيل دما على فقده بيد ان الموت
لابد ان نردم شرعه ونسيغ على شرق بدرجرعه فان ازرع يحصد الذي ازدرعه وصبرا يا ذوي ارحامه وبنيه
ومن تردى غلوا الوجد فالسلوان يثنيه وتحاموا على اجركم لايذهب بذا الجزع ويفنيه والله يزلف الفقيد من رحمته
ويدنيه ويقطفه زهر رضوانه ويجنيه ويبشركم العزا الاجمل برحمته ويسنيه والسلام انتهت ورحم الله القايل
كل جمع الى الشتات يصير ٥ اي صفو مانابه تكدير ٥ انت في اللهو والاماني مقيم ٥ والمنايا في كل وقت تسير
والذي غره بلوغ الاماني ٥ بسراب وخلب مغرور ٥ ويك يا نفس اخلصي ان ربي ٥ بالذي اخفت الصدور بصير
ولا خفاء على ذوي الاحلام من الاعلام ٥ ان الدنيا اضغاث احلام
يندم المرء على مافاته ٥ من لبانات اذا لم يقضها ٥ وتراه فرحا مستبشرا ٥ بالتي امضى كان لم يمضها
انها عندي كاحلام الكرى ٥ لقريب بعضها من بعضها ٥ وقال ابو منصور اسعد النحوي
يجمع المرء ثم يترك ما ٥ يجمع من كسبه لغير شكور ٥ ليس يحظى الا بذكر جميل ٥ او بعلم من بعده ماثور
٥ وقال الامام الشهير ابو الفرج ابن الجوزي ٥
ياساكن الدنيا تاهب ٥ وانتظر يوم الفراق ٥ واعد زاد الرحيل ٥ فسوف يحدى بالرفاق
وابك الذنوب بادمع ٥ تنهل من سحب المآقي ٥ يامن اضاع زمانه ٥ ارضيت ما يفنى بباق
وكان ابن الجوزي المذكور آية الله في كثرة التاليف والكتابة والوعظ والحفظ واقل من كان يحضر مجلسه — من كلام ابن الجوزي
عشرة الاف وربما حضر عنده ماية الف وقال في اخر عمره على المنبر كتبت باصبعي هاتين الفي مجلد وتاب على
يدي ماية الف واسلم على يدي عشرون الف يهودي ونصراني واسمع رحمه الله الناس اكثر من اربعين سنة وحدث
بمصنفاته مرارا وقال الحافظ الذهبي في حقه الحافظ الكبير الواعظ المفتن صاحب التصانيف الكثيرة
الشهيرة في العلوم المتعددة وعظ من صغره وفاق فيه الاقران ونظم الشعر المليح وكتب بخطه مالا يوصف
وراى من القبول والاحترام مالا مزيد عليه وحزر مجلسه غير مرة بماية الف وحضر مجلسه المستضي مرارا من
وراء الستر انتهى ومن كلامه في بعض مجالسه والله ما اجتمع لاحد امله الا وسعى في تفريقه اجله وعقارب
المنايا تلسع الناس وخدران جسم الامل يمنع الاحساس وقال في قوله صلى الله عليه وسلم اعمار امتي ما بين الستين
الى السبعين انما طالت اعمار القدما لطول البادية فلما شارف الركب بلد الاقامة قيل حثوا المطي وقال في
الذين عبدوا العجل لو ان الله خار لهم ما خار لهم وقال يوما وقد طرب اهل المجلس فهمتم وقال في خلافة ابي بكر

رضي الله

رضي الله عنه بعد ان ذكر احاديث تدل على خلافته كقوله صلى الله عليه وسلم مروا ابا بكر فليصل بالناس وغيره
ما سورته فهذه احاديث تجري مجرى النص فهمها الخصوص غير الرافضة في اخفايها كالنصوص فقال
السايل لما قال اقيلوني ما سمعنا مثل جواب علي رضي الله عنه والله لا اقلناك فقال لما غاب علي عن البيعة
في الاول اخلف مافات بالمدح في المستقبل ليعلم السامع والراي ان بيعة ابي بكر وان كانت من راي فهي راي
وسل ذلك الصدر لا برايي وقال في قوله زعموا اليس لي ملك مصر يفتخر بما اجراه ما اجراه وتواجد
رجل في مجلسه فقال عجبا كلنا في انشاد الضالة سوا فلم وجدت وحدك ثم الجوى وانشد
قد كتمت الحب حتى شفني ٥ واذا ما كتم الداء قتل ٥ بين عينيك علالات الكرى
فدع النوم لربات الحجل ٥ ونظر يوما الى اقوام سكوه في مجلسه ويتواجدون فانشد
وكم يبكي الظاعنون لحاجتي ٥ حمايم ورق في الديار وقوع ٥ تداعين فاستبكين من كان ذا هوى
نوايح لم تقطر لهن دموع ٥ وكيف اطيق العاذلين وذرعهم ٥ يورقني والعاذلون هجوع
وقام رجل وتواجد فانشد ٥ وما زال يشكو الشوق حتى كانما ٥ تنفس من احشايه وتكلما
ويبكي فابكي رحمة لبكايه ٥ اذا ما بكى دمعا بكيت له دما ٥ واعجبه يوما كلامه فانشد
تزدحم الالفاظ والمعاني ٥ على فوادي وعلى لساني ٥ تجري بي الافكار في ميداني
ازاحم النجم على مكاني ٥ ووعظ المستضي يوما فقال يا امير المومنين ان تكلمت خفت
منك وان سكت خفت عليك فانا اقدم خوفي منك لمحبتي لدوام ايامك ان قول القايل اتق الله خير من قول ل
القايل انتم اهل بيت مغفور لكم وقال الحسن البصري لان تصحب اقواما يخوفونك حتى تبلغ المامن خير لك من
ان تصحب اقواما يومنونك حتى تبلغ المخاوف وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول اذا بلغني عن عامل ظالم
انه قد ظلم الرعية ولم اغيره فانا الظالم يا امير المومنين كان يوسف عليه السلام لا يشبع في زمان القحط لئلا ينسى
الجياع وكان عمر رضي الله عنه يضرب بطنه عام الرمادة ويقول قرقري ان شيت او لا تقرقري فوالله لا تشبعين
والمسلمون جياع فتصدق الخليفة المستضي بصدقات كثيرة واطلق من في السجن وقال رحمه الله لبعض الولاة
اذكر عدل الله فيك وعند العقوبة قدرة الله عليك واياك ان تشفي غيظك بسقم دينك وقال الطاعة
تبسط اللسان والمعاصي تذل الانسان وقال له قايل مانمت البارحة من شوقي الى المجلس فقال نعم لانك تريد
ان تتفرج وانما ينبغي ان لا تنام الليلة لاجل ما سمعت فيه وقيل له ان فلانا اوصى عند الموت فقال هو طين سطوح
في كانون وقال له قايل اسبح ام استغفر فقال الثوب الوسخ احوج الى الصابون من البخور وساله سايل
ما الذي وقر في قلب ابي بكر رضي الله عنه فقال قوله ليلة المعراج ان كان قال فقد صدق فلذا سبق ولما قال
له بعضهم سيف علي نزل من السما فسعفه ابي بكر اي اجابه بقوله ان سعفه هزت يوم الردة فاثمرت سبيا
جاء منه مثل ابن الحنفية لامضى من سيوف الهند ثم قال يا عجبا الروافض اذا مات لهم ميت تركوا معه
سعفة من ابن ذا المصطلح وسيل عن معنى قوله صلى الله عليه وسلم من اراد ان ينظر الى ميت يمشي على وجه الارض
فلينظر الى ابي بكر فقال الميت يقسم ماله ويكفن وابو بكر اخرج ماله كله وتخلل بالعباء وقال في قوله تعالى ونزعنا ما في
صدورهم من غل اخوانا قال علي انني والله لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم ثم قال ابو الفرج اذا
اصطلح اهل الحرب فما بال النظارة وقال قال جبريل لرسول الله صلى الله عليه وسلم سلم على عايشة ولم يواجهها
بالخطاب احتراما لزوجها وواجه مريم لانها لم يكن لها زوج فمن يحترمها جبريل كيف يجوز في حقها الاباطيل
وقال ابو شامة وكان ابن الجوزي رحمه الله مبتلى بالكلام في مثل هذه الاشيا لكثرة الروافض ببغداد
وتعنتهم بالسوالات فيها فكان بصيرا بالخروج منها بحسن اشاراته وانقطع القراء يوما عن مجلسه فانشد
وما الحلي الا زينة لنقيصة ٥ يتمم من حسن اذا الحسن قصرا ٥ واما اذا كان الجمال موفرا
كحسنك لم يحتج الى ان يزورا ٥ وقيل له لم تسلى موسى عليه السلام بسوف تراني فانشد
اذا لم يكن وصل لديك لنا ٥ يشفي الصبابة فليكن وعد ٥ ولما ذكر ان بلالا رضي الله عنه لما
منع الطواف بالبيت كان يقف من بعد وينظر اليه ويبكي انشد ٥ امر على منازلهم واني
لمن اضحى بها صب مشوق ٥ واومي بالتحية من بعيد ٥ كما يومي باصبعه الغريق
ومن شعر ابي الفرج رحمه الله ٥ لعب ومثلك لا يلعب ٥ وقد ذهب الاطيب فالاطيب
اتذكر في ظلمات الشباب ٥ فلما اضا انجلى الغيهب ٥ الا ان اقرانك الراحلون لقد لاح اذ ذهبوا المذهب
ولنقتصر على هذا المقدار ونرجع الى احوال لسان الدين رحمه الله وارتحاله والاعتبار بحاله فنقول
مما يناسب ان نذكره في هذا المحل وننبه فيه ما حكاه العالم العلامة بلدينا سيدي ابو الفضل ابن
الامام التلمساني رحمه الله نقلا عن جدي الامام قاضي القضاة سيدي ابو عبد الله المقري التلمساني رحمه الله
واحد اشياخ لسان الدين كما ياتي ان شاء الله ذلك في محله قال كنت مع ذي الوزارتين ابي عبد الله بن
الخطيب في جامع البيرة من الاندلس اذ مرينا الاعتبار في تلك الآثار فانشد ابن الخطيب ارتجالا
نزلنا ها هنا ثم ارتحلنا ٥ كذاك الدهر حال بعد حال ٥ وكل بداية فالى انتهاء ٥ وكل اقامة فالى ارتحال
ومن سام الزمان دوام حال ٥ فقد وقف الرجا على المحال ٥ انتهى وحكى لسان الدين في الاحاطة عن نفسه انه
خطط هذه الابيات في مرحلة نزلها رحمه الله حسبما ياتي ذلك في شعره وما احسن قوله رحمه الله
لسان حال الزمان وانسانا ٥ يتابع اخرانا على الغي اولانا ٥ ونغتر بالآمال والعمر ينقضي
فما كان بالرجعى الى الله اولانا ٥ وماذا عسى ان ينظر الدهر من فتى ٥ فانقاد للزجر الحثيث وهلا انا

King Saud University
Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)